

## الفصل الثاني الجانب النقلي في تفسيره

أولاً: التراث النقلي في تفسيره:

كانت عناية الحوفي بالتفسير اللغوي مقصوداً بها الكشف عن المعنى، لأن من أدعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر، فهو كمن أدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل تجاوز الباب، فظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم، لأن القرآن نزل بلغة العرب، فما كان الرجوع فيه إلى لغتهم، فلا بد من معرفتها أو معرفة أكثرها<sup>(١)</sup>.  
والحوفي إلى جانب كشفه عن الجانب اللغوي لم يغفل الجانب النقلي، فلقد جمع بين المعقول والمنقول ودمج بينهما وبيّن جوانب التفسير الأخرى ليكشف المعنى في صورة متكاملة وهو في عنايته بالجانب النقلي متنبه بأنه يقوم على دعائم ثلاث:

١. تفسير القرآن بالقرآن.
٢. تفسير القرآن بالسنة.
٣. الأخذ بمطلق اللغة.

وفي هذا يقول ابن تيمية: فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب إن أصح الطرق في ذلك:

١. أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في موضع قد بسط في موضع آخر.
٢. وأن يفسر القرآن بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

١ - الزركشي: البرهان ١٥٥/٢.

والمعني<sup>١</sup> بالسنة: ما أترعن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين - فنراه يعتمد على صدور المفسرين من الصحابة: علي ثم ابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن عمر، وعلى المبرزين من التابعين: الضحاك بن مزاحم، وسعيد بن جبيرة ومجاهد و قتادة، وأبي العالية الرياحي، والحسن البصري، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، ومقاتل بن سليمان، وأبي بكر الأصب بن كيسان، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن رباح وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ومن الأئمة سفيان بن عيينة ومحمد بن جرير الطبري، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرزائي وأبي جعفر النحاس<sup>(١)</sup> وأبي بكر والإدقوي وغيرهم.

٣. الأخذ بمطلق اللغة<sup>(٢)</sup>:

و الحوفي في كل هذا متنبه لما أجمع عليه العلماء من أن أقسام التفسير أربعة<sup>(٣)</sup> قسم تعرفه العرب في كلامها: وهو الذي يرجع إلى لسانهم وذلك شأن اللغة والإعراب فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها، وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلاً للمعنى وجب على المفسر والقارئ معرفته، وما كان من التفسير راجعاً إلى هذا القسم فسبيل المفسر التوقف فيه على ما ورد في لسان العرب وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من كتاب الله.

وأما ما لا يعذر أحد بجهالته : وهو ما يتبادر بالإفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد وكل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً لا سواه يعلم أنه راد الله تعالى.

١ - الزركشي: نفسه ١٥٨/٢ .

٢ - الزركشي: البرهان ١٦٠/٢ .

٣ - الزركشي: البرهان ١٦٤/٢ .

و أما ما يرجع إلى اجتهاد العلماء: فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل وهو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه، فالمفسر ناقل، والمؤول مستنبط، وأن كل لفظ احتمل معنيين فصاعداً هو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه .

و أما ما لا يعلمه إلا الله تعالى: فهذا ما يجري مجرى الغيوب، نحو الآي المتضمنة قيام الساعة ونزول الغيث و ما في الأرحام و كل ما استأثر الله بعلمه. من هذا المنطلق جاءت عناية الحوفي بالجانب النقلي، وأول هذه العناية التي استخلصناها من تفسيره:

#### ١. تفسير القرآن بالقرآن:

أجمع العلماء على أن أحسن طريق للتفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فصل في مكان آخر و ما أخصر في مكان فأنه قد بسط في آخر<sup>(١)</sup>.

ففي قوله تعال ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup>، يقول: مالك يوم الدين الحكم يدل عليه ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

و أحسن هذا لتفرد القديم ذلك اليوم بالحكم<sup>(٤)</sup>. نراه في موضع آخر يقول: أصل اليوم الوقت، فإذا قيل يوم مطلق فهو يقع لليل والنهار وليس في دليل على أحد الوقتين هو مذهب شيخنا أبي بكر يحتج بقول الله عز وجل ﴿... جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ...﴾<sup>(٥)</sup>

١ - الزركشي: نفسه ١٧٥/٢.

٢ - سورة الفاتحة آية ٤ .

٣ - سورة الانفطار آية ١٩ .

٤ - الحوفي: البرهان ١٢/١.

٥ - سورة النحل آية ٨٠.

وكذلك ﴿... وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ...﴾<sup>(١)</sup> وقوله ﴿... لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ أَيَّامًا مَعْدُودَةً...﴾<sup>(٢)</sup> وقوله ﴿... فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ...﴾<sup>(٣)</sup>.

فالحوفي باستناده على مذهب شيخه قد بيّن المقصود باليوم من خلال ما فصل في آيات قرآنية فدّل ذلك على أن المقصود باليوم الوقت سواء كان في ذلك الوقت ليلاً أو نهاراً، كما نراه في موضع آخر يستدل بآيات القرآن ليوضح المعنى، ففي قوله تعالى ﴿... غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ...﴾<sup>(٤)</sup>، يقول: فإن قيل فما الوجه في الوصف بأنهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وإلا أخبرني بأحد الوصفين؟ الجواب: لرفع اللبس وذلك انه لما كان المغضوب عليهم يصلح للكافرين ولمن ركب كبيرة كما قال ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ...﴾<sup>(٥)</sup>، والضالون يصلح أن يكون لمن ضل عن الإسلام فلما كان في كل وصف منهما معنى ليس في الآخر لم يجز أحدهما عن الآخر ولم يرقم مقامه فيجمع الأمر أن لهذا، وقيل أن المعنى لجميع الوصفين لأن في كل واحد منهما فائدة ليس في الآخر وإن كانا لموصوف واحد كما تصف لله عز وجل بأنه قادر وبأنه عالم وبأنه سميع فيجمع هذه الأوصاف لما فيها من فائدة وإن كان الموصوف بها واحد، وقيل ذلك على مذهب من قال المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى، فقد صار المعنيين وقد تقدم ذكر الغضب على الضلال وإنما سبيل الغضب أن يكون بعد الضلال فهذا على ظاهر القول من التفسير أن المراد به اليهود والنصارى فقدم اليهود لأنهم أولى بالذم الشديد وعداوتهم للإسلام والغلو في الكفر كما قال

١ - سورة الأنفال آية ١٦ .

٢ - سورة البقرة آية ٨٠ .

٣ - سورة فصلت آية ١٦ .

٤ - سورة الفاتحة آية ٧ .

٥ - سورة النساء آية ٩٣ .

﴿...أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾<sup>(١)</sup> وهو عن طريق آيات النص القرآني واستدل على المعنى المراد وفي قوله تعالى ﴿...إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ...﴾<sup>(٢)</sup> يقول قال قتادة وابن العالبة وابن زيد هي الصافية الصفرة وقال أبو عبيدة صفراء سوداء كما قال تعالى: "جمالات صفر"<sup>(٣)</sup> إنما قيل جمالات صفر بمعنى سود لأن سوادها تعلوه صفرة<sup>(٤)</sup>.

والحوفي يربط بين آيات القرآن وبين المأثور، ففي قوله تعالى ﴿...وَأَيَّدَنَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾<sup>(٥)</sup>، يقول: وقوله وأيدناه بروح القدس أي قربناه وأعناه واختلف في قوله بروح القدس قال بعضهم هو جبريل عليه السلام ورُوي أن نفراً من اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح فسألهم بالله هل يعلمون انه جبريل الذي يأتيني قالوا نعم، قال قتادة والسدي والضحاك والريبع هو الاسم الذي كان عيسى عليه السلام يحيي به الموتى وقال عبد الرحمن بن زيد أيد الله عيسى بالإنجيل روحاً كما جعل القرآن روح الله قال عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا...﴾<sup>(٦)</sup>.

ثم نرى الحوفي يعقب على ذلك بقوله: والأظهر في معنى الآية أن روح القدس جبريل عليه السلام لقوله ﴿...إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ...﴾<sup>(٧)</sup>، يقول لو

١ - سورة المائدة آية ٨٢ .  
٢ - سورة البقرة آية ٦٩ .  
٣ - صحت الآية " كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ " سورة المرسلات آية ٣٢ .  
٤ - الحوفي: البرهان ٣٤/٢ .  
٥ - سورة البقرة آية ٨٧ .  
٦ - سورة الشورى آية ٥٢ .  
٧ - سورة المائدة آية ١١٠ .

كان الإنجيل لما كرر لفظه<sup>(١)</sup>، الحوفي بهذا يعرض أقوال الأئمة ثم يرجع أحد الأقوال مؤيدا ذلك بما جاء في النص القرآني.

وفي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ...﴾ (سورة البقرة: من الآية ٩٢) يقول: والمعنى والله أعلم لقد جاءكم يا معشر يهود بني إسرائيل موسى بالآيات البينات الواضحات والآيات تسع كما قال عزوجل ﴿... تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾<sup>(٢)</sup> وهي: العصا التي تحولت ثعبانا واليد التي أخرجها بيضاء للناظرين، وقلق البحر وتصويره ببسا، الجراد والقمل، الضفادع والدم ورفع الطور، وإحياء الميت، وإحياء الميت ببعض البقرة فهذه الآيات لا يجوز لبشر أن يأتي بها إلا بتسخير الله عزوجل له<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، يقول: وقوله واختلاف الليل والنهار أي وتعاقب الليل والنهار عليكم يا أيها الناس والاختلاف الافتعال من خلوف كل واحد منهما للآخر كما قال عزوجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾<sup>(٥)</sup>.

أي كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه إذا ذهب الليل جاء النهار وإذا ذهب النهار جاء الليل خلافة و منه قول زهير:

١ - الحوفي: البرهان ٧٤/٢.

٢ - سورة الإسراء آية ١٠١.

٣ - الحوفي: البرهان ٨٣/٢.

٤ - سورة البقرة آية ١٦٤.

٥ - سورة الفرقان آية ٦٢.

بهاء العين والأرام يعيش خلفه \*\*\*\* و أطلأؤها ينهضن من كل مجثم

وقوله: والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، الفلك : السفن واحدة وجمعه بلفظ واحد ويذكر ويؤنث كما قال ﴿وَأَيُّهُ هُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال : في الفلك التي تجري، وقال تجري وهي مجرأة لأنها إذا

أجريت فقد جرت، وما ينفع على التقدير بمعنى الذي وما ينفع بمعنى النفع وقوله :  
﴿... وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ...﴾<sup>(٢)</sup> بمعنى فرق من قولهم بث الأمير عساكره،  
وقيل معناه بسط من قوله عز وجل ﴿وَزَرَأْتِي مَبْثُوثَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>، أي مبسوطة، قال ذو الرمة  
فؤداك مَبْثُوثٌ عَلَيْهِ شَجْوُهُ \*\*\*\* وعيناك يعصي عاذليك إنهمالها

والبث إظهار الوجد والهـم ونشرهما كما قال ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ...﴾<sup>(٤)</sup>، فهو في هذا الجانب يربط بين المفهوم اللغوي حيث يفسر الكلمة المفردة وبين الآيات القرآنية الموضحة لهذا المعنى.

وما جاء من تفسير القرآن بالقرآن في تفسير الحوفي كثير فالحوفي لم يترك موضعا في آية من آيات القرآن جاءت مجملة لها تفصيل أو بيان في آية أخرى إلا ذكرها واستشهد بها. وهذا الاتجاه في التفسير يتفق مع ما استقر عليه العلماء بعد ذلك يقول الإمام الزركشي: ينقسم القرآن العظيم إلى:

١. ما هو بين بنفسه بلفظ ما يحتاج إلى بيان منه ولا من غيره وهو كثير.

٢. وإلى ما ليس بين بنفسه فيحتاج إلى بيان.

١ - سورة يس آية ٤١.

٢ - سورة البقرة آية ١٦٤.

٣ - سورة الغاشية آية ١٦.

٤ - سورة يوسف آية ٨٦.

وبيانه إما فيه في آية أخرى أو في السنة، لأنها موضوعه للبيان، قال تعالى  
 (... لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...) (١) وقد يكون بيانه واضحا وهو أقسام:  
 أحدهما: أن يكون عقبه كقوله تعالى ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢)، قال محمد بن كعب  
 القرظي: تفسيره ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٣).

الثاني: أن يكون بيانه منفصلا عنه في السورة معه أو في غيره، كقوله تعالى:

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (سورة الفاتحة: من الآية ٤) وبيانه في سورة الانفطار بقوله:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (٤).

وبما بيته الزركشي كانت عناية الحوفي بتفسير القرآن بالقرآن.

## ٢- أن يفسر القرآن بالسنة :

ولقد أجمع العلماء أيضا على أن من أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن  
 بالسنة فإن لم تجد تفسير القرآن بالقرآن فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن و موضحة له  
 قال تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ  
 وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥).

ولهذا قال صلي الله عليه وسلم ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه يعني السنة فإن  
 لم يوجد في السنة يرجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن ولما  
 أعطاهم الله من الفهم العجيب (٦).

- ١ - سورة النحل آية ٤٤.
- ٢ - سورة الإخلاص آية ٢.
- ٣ - سورة الإخلاص آية ٣، ٤.
- ٤ - سورة الانفطار آية ١٧ - ١٩.
- ٥ - سورة النحل آية ٦٤.
- ٦ - الزركشي: البرهان ١٧٦/٢.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن فيما تحكم؟ قال بكتاب الله، قال فإن لم تجد قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله (١).

من هذا المنطلق كانت عناية الحوفي بتفسير القرآن بالسنة فنراه يبيّن فهمه للآية أو للكلمة موضحاً ذلك بما جاء بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بأقوال الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين.

و مثال ما بيّنه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (سورة الفاتحة: من الآية ٤)

يأتي بحديث رسول الله ليستدل به على أن يوم مطلق فهو يقع لليل والنهار وليس فيه دليل على أحد الوقتين يقول: وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق يوماً فسماه الأحد وخلق يوماً فسماه الاثنين على هذا إلى آخر الأيام كلها ولم يكن في وقت خلق هذه الأيام شمس ولا قمر وإنما خلق ذلك بعد خلق الأيام (٢).

فهو يستدل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كلمة يوم مطلق تدل على الليل والنهار.

ولكي يستدل بالحديث النبوي يؤكد سلسلة الإسناد فيروي عن شيخه من طريق الشافعي مما جعلنا نؤكد ما قال به القفطي بأنه من رواة الحديث. ففي قوله تعالى  
﴿...غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٣).

١ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٣/١.

٢ - الحوفي: البرهان ١٣/١.

٣ - سورة الفاتحة آية ٧.

يقول: أخبرنا أبو بكر الإدفوي قال: حدثنا أبو جعفر النحاس قال حدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال حدثنا محمد بن إدريس المكي قال أخبرنا محمد بن سعد قال حدثنا عمر عن سماك عن عباد عن عدي بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون قال قلت فإني حنيف مسلم فرأيت وجهه يبتسم فرحا<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿...وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول: والصلاة في اللغة الدعاء من المخلوقين بعضهم لبعض، ومن الله عز وجل الرحمة وإنما سميت الصلاة صلاة لما يدعي فيها قال الأعشى:

عليك مثل الذي صليت فأغتمضي \*\*\*\*  
نوماً فإن لجنب المرء مضجعا

أي عليك مثل دعائك، ومنه الحديث المروي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا دُعِيَ أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطراً فليأكل وأن كان صائماً فليصل. قال المفسر معناه يدعوا لهم بالبركة والخير<sup>(٣)</sup>. فالحوفي بهذا يستدل بحديث رسول الله ليكشف معنى الكلمة والمقصود بها ويسند الرواية إلى أحد الصحابة برواية صحابي آخر، وأقوال الأئمة في ذلك ففي قوله تعالى ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ...﴾<sup>(٤)</sup>.

يقول أي وضعوا مكان القول الذي قيل لهم غيره بدلا منه فكانوا بذلك ظالمين لأن قيل لهم قولا حطوا فقالوا حنطة على وجه الاستهزاء، روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "وقولوا حطة فقالوا حبة في شعيرة"<sup>(٥)</sup>. ويؤكد هذه الرواية برواية ابن

١ - الحوفي: البرهان ٢٥/١.

٢ - سورة البقرة آية ٣.

٣ - الحوفي: البرهان ٣٨/١.

٤ - سورة البقرة آية ٥٩.

٥ - الحوفي: البرهان ١٩/٢.

مسعود يقول: وروي عن ابن مسعود قال: قولوا حبة حطة حمراء منقوبة فيها شعيرة سوداء<sup>(١)</sup>. ويوضح ما قال به أبو العباس يقول: قال أبو عباس يعني أن هذا تفسير قولهم لأنهم قالوه بغير العربية<sup>(٢)</sup>.

وصنع الحوفي هذا من تأكيد الرواية برواية من طريق آخر كثير في تفسيره من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿... فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ...﴾<sup>(٣)</sup> يقول: ويقال رجز و رجز بكسر وضم وهو العذاب، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: إن هذا الطاعون رجز أنزل على من كان قبلكم أو على بني إسرائيل<sup>(٤)</sup>. يقول: ويروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قد يقع الرجز بمعنى الرجز يقول وروي أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا الوجع والسقم رجز عُدب به بعض الأمم قبلكم<sup>(٥)</sup>.

كما يروي عن الرسول بالمعنى الذي ذكره جماعة المفسرين، ففي قوله تعالى ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا ...﴾<sup>(٦)</sup>، يقول: وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء و إذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم فلما كان من قوم موسى ما تقدم من السؤال ولم يمتثلوا ما أمروا به أولاً ولا ثانياً ولا ثالثاً فشدوا واعتنوا نبيهم عليه السلام شدد الله عليهم وقيل لو لم يستثنوا في الرابعة لم يبيِّن لهم روي معنى ما ذكرناه عن جماعة المفسرين<sup>(٧)</sup>.

- ١ - الحوفي: نفسه ١٩/٢.
- ٢ - الحوفي: البرهان ١٩/٢.
- ٣ - سورة البقرة آية ٥٩.
- ٤ - الحوفي: البرهان ١٩/٢.
- ٥ - الحوفي: البرهان ١٩/٢.
- ٦ - سورة البقرة آية ٦٩.
- ٧ - الحوفي: البرهان ٣٦/٢.

وفي قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْأَخْرُوعِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١).

يقول: لو قيل لهم تمنوا الموت بقلوبكم دون ألسنتكم لجاز أن يقولوا قد تمنينا كذبا ثم يقولوا ما تمننا فيكون في هذا رداً بقوله صلى الله عليه وسلم إنهم إن تمنوا ماتوا كما روي عنه: لا يقولها أحد منهم إلا شرق بريقه (٢).

كما نراه يستدل بقوله عز وجل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكشف المعنى، ففي قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ... ﴾ (٣).

يقول: المعنى والله أعلم فإن طلقها التطليقة الثالثة فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره والنكاح هنا الجماع بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم حتى تذوق عسيلته، وفعل الله عز وجل ذلك لعله بصعوبة تزوج المرأة على الرجل فحرم عليهم الفروج إلا بعد الثلاث لئلا يجعلوا بالطلاق وأن يثبتوا، ودليل ذلك قوله عز وجل: " لَعَلَّ اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا " وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رفاعة القرظي طلق امرأته فأبوت طلاقها فتزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله إنها كانت عند رفاعة فطلقها آخر ثلاث فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل الهدية فتبسم رسول الله ثم قال لها: لعلي تريدان أن ترجعي إلى رفاعة، لا حتى تذوقي عسيلته ويزوق عسيلتك (٤).

١ - سورة البقرة آية ٩٤ .  
٢ - الحوفي: البرهان ٨٩/٢ .  
٣ - سورة البقرة آية ٢٣٠ .  
٤ - الحوفي: البرهان ٥٧/٤ .

والحوفي كما يستدل بالقرآن وبالحديث النبوي يستدل أيضا بأقوال الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ففي قوله تعالى ﴿...وَأَتُوا بِهِ مُمْتَشِبَهَا...﴾ (١).  
يقول: وقوله متشابها يعني اشتباه ثمرة الجنة في المنظر واللون بثمر الدنيا وقولك به عائداً على الرزق، وقال الحسن وقتادة: معنى متشابها وخيار لأرذل فيه وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد متشابها في اللون ومختلفة في الطعم وقال بعضهم يشبه شيء في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء وهو يروي عن عبد الرحمن بن زيد وابن عباس (٢).  
وهو كثير ما يورد الأقوال دون ذكر السند أو تحقيق الرواية ولعل الذي دعاه إلى هذا الصنيع الإيجاز والاختصار وقد نص على ذلك في مقدمة تفسيره يقول: ولقد اجتهدت في اختصار ما بلغني من علوم القرآن (٣).

وهو يبيِّن المعنى بطرق متعددة عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ففي قوله تعالى ﴿خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ...﴾ (٤) يقول: وقوله: ﴿خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ...﴾ (سورة البقرة: من الآية ٥٦) أي بجد و آتيناكم بمعنى أعطيناكم وروي عن ابن عباس بجد وعن السدي باجتهد، وعن ابن زيد خذ الكتاب الذي جاء به موسى بصدق وحق وقوله تعالى: "... وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (سورة البقرة: من الآية ٦٣) عن أبي العالية ما في التوراة وأعملوا به وعن الربيع بن أنس أحفظوا ما فيه من الأمور والنهي، وقيل أمروا بالذكر الذي هو باللسان لأنه السبب المؤدي إلى العمل بطاعة الله و اتقاء محارمه (٥).

- ١ - سورة البقرة آية ٢٥.
- ٢ - الحوفي: البرهان ٩٧/١.
- ٣ - الحوفي: البرهان ١/١.
- ٤ - سورة البقرة آية ٦٣.
- ٥ - الحوفي: البرهان ٢٣/٢ - ٢٤.

أما ما جاء به عن أئمة المسلمين ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

يقول: قال أبو جعفر وهذا احتجاج على من لم يؤمن بالبعث من قريش واحتجاج على أهل الكتاب إذ خيروا بهذا وإن المعنى لعلمكم تشكرون. وما فعل بكم من البعث بعد الموت وقال إن الله تعالى لما أحياهم وعاشوا رجلاً رجلاً جعل بعضهم ينظر إلى بعض كيف نحيا فقالوا يا موسى أنت تدعوا الله فلا تسأله شيئاً إلا أعطاه فأدعه أن يجعلنا أنبياء فدعا الله فجعلهم أنبياء (٢).

### ٣- الوقوف على أسباب النزول:

ولقد أجمع العلماء على أن معرفة أسباب النزول طريق قوي لفهم النص القرآني يقول الواحدي عن ضرورة معرفة أسباب النزول: إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية إليها، لإمتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرؤية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب (٣).

فالواحدي يبين أنه لا يمكن معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على أصل قصتها وبيان نزولها، يقول الإمام القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز (٤). من هذا المنطلق جاءت عناية الحوفي لمعرفة أسباب النزول ففي قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً... ﴾ (٥) يقول روي

١ - سورة البقرة آية ٥٦.  
٢ - الحوفي: البرهان ١٣/٢ - ١٤.  
٣ - الواحدي: أسباب النزول ٣.  
٤ - الزركشي: البرهان ١/٢٢.  
٥ - سورة البقرة آية ٨٠.

عن عكرمة قال: خاصمت اليهودُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن ندخل النار إلا أربعين ليلةً، ويستخلف فيها قوم آخرون يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا بيده على رؤوسهم بل أنتم فيها خالدون لا يخلفكم إليها أحد فأنزل الله عز وجل ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً... ﴾ (١) وروي عن ابن عباس أن اليهود قالوا أنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما يعذب الناس يوم القيامة لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً من أيام الآخرة وإنما هي سبعة أيام فأنزل الله عز وجل ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً... ﴾ (٢).

والحوفي يروي السبب من طرق متعددة ففي قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

يقول: هذه الآية جواب لما سألت اليهود من بني إسرائيل عنه وذلك ما حكى عن ابن عباس أنه قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا عما شئتم ولكن اجعلوا لما ذمته الله وما أخذ يعقوب على بنيهِ لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتُبَاعِيَنِّي على الإسلام فقالوا ذلك لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوني عما شئتم، فقالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل إن تنزل التوراة، وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والأنثى، وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة ووليه من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم

١ - الحوفي: البرهان ٥٥/٢.

٢ - الحوفي: البرهان ٥٥/٢.

٣ - سورة البقرة آية ٩٧.

عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتبايعوني فأعطوه ما شاء من عهد و ميثاق فقال نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً و طال سقمه فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرّم من أحب الطعام و الشراب إليه و كان أحب الطعام و الشراب إليه لحمان الإبل<sup>(١)</sup>، قال ابن جرير فيما أرى أن و أحب الشراب إليه ألبانها<sup>(٢)</sup> فقالوا اللهم نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم اللهم أشهد عليكم و أنشدكم لله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ و أن ماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد و الشبه بإذن الله فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله، و إذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله، قالوا اللهم نعم قال اللهم أشهد و أشهدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه و لا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قالوا اللهم أشهد قالوا أنت الآن فحدثتنا من و ليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك، قال فإن ولي جبريل و لن يبعث الله نبياً إلا و هو وليه، قالوا فعندها نفارقك لو كان و ليك سواه من الملائكة تبعناك و صدقناك قال فما يمنعك أن تصدقوه، قالوا: إنه عدونا فأنزل الله عز و جل ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾<sup>(٣)</sup>: إلى قوله فعندها... ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَيَّ غَضَبٍ ... ﴾<sup>(٤)</sup>.<sup>(٥)</sup>

و الحوفي يروي السبب عن طريق آخر و بصيغة أخرى يقول: و روي عن الشعبي

قال: نزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الروحاء فرأى رجالاً يبزون أحجاراً يصلون إليها فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم صلى ها هنا قال

١ - الحوفي: البرهان ٩٤/٢.

٢ - الحوفي: نفسه ٩٤/٢.

٣ - البقرة آية ٩٧.

٤ - سورة البقرة آية ٩٠.

٥ - الحوفي: البرهان ٩٤/٢.

فكره ذلك وقال: إنما رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة بوادٍ فصلى ثم أرتحل وتركه ثم أنشأ فحدثهم فقال: كنت أشهد اليهود يوم مدارستهم فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن، ومن القرآن كيف يصدق التوراة، فبينما أن عندهم قالوا يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك، قلت: ولمَ ذلك، قالوا: إنك تخشاننا وتأتينا قلت إنني أتيكم فأعجب من الفرقان كيف يصدق التوراة، ومن التوراة كيف تصدق الفرقان قال ومَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم فألحق به، قال: فقلت لهم عند ذلك ناشدتم بالله الذي لا إله إلا هو وما استرعاكم من حقه واستودعكم من كتابه أن تعلمون أنه رسول الله قالوا: فسكتوا، فقال عالمهم وكبيرهم أنه قد عظم عليكم فأجيبوه، قالوا أنت عالمنا وسدنا فأجبه أنت، قال أما إذا نشدتنا بما نشدتنا به فإننا نعلم أنه رسول الله، قال: قلت ويحكم فأني أهلكتم قالوا إنا لا نهلك قال: قلت كيف ذلك و أنتم تعلمون انه رسول الله ثم لا تتبعونه ولا تصدقونه، قالوا: إنا لنا عدوا من الملائكة وسلماً من الملائكة وإنه قُرْنٌ بنبوته عدونا من الملائكة، قلت ومن عدوكم ومن سلمكم قالوا: عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل قال: قلت وفيما عاديتم جبريل وفيما سالمتم ميكائيل، قالوا أن جبريل ملك الفضاظة والغلظة والإعسار والشدائد والعذاب ونحو ذلك، وأن ميكائيل ملك الرأفة والرحمة والتخفيف ونحو هذا، قال: قلت: وما منزلتهما من ربهما قالوا أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره قال: قلت فهو الله الذي لا إله إلا هو والذي بينهما لعدوا لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما ما ينبغي أن جبريل أن يسالم عدو ميكائيل وما ينبغي لميكائيل أن يسالم عدو جبريل قال: ثم قمت فأتبعت النبي صلى الله عليه وسلم فلحقته وهو خارج من خوخة لبني فلان فقال لي يا ابن الخطاب ألا أقرئك

آيات نزلت فيك فقرأ علي ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَي قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ ... ﴾ (١).

حتى قرأ الآيات قال: قلت بأبي و أمي يا رسول الله و الذي بعثك بالحق لقد

جنئت أنا أريد أن أخبرك الخبر فاسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر.

و زيادة في تأكيد السبب يرويه عن طريق آخر يقول: و يروى عن قتادة أن عمر

خاطبهم بنحو من ذلك و أنهم قالوا جبريل يطلع محمداً على سرنا. و يروى أن عمراً رضي

الله عنه قال أي يمين فيكم أعظم: قالوا الرحمن، أنشدكم بالرحمن الذي نزل التوراة على

موسى بطور سيناء أتجدون محمداً عندكم ؟ فأسكتوا فقال: ما شأنكم فوالله ما سألتكم

و أنا شك في ديني و ينهي الحوفي تلك الأخبار بقوله: فجاء ذلك من طرق تختلف الألفاظ

و تقترب المعاني و قد ذكرت أشرفها و أبسطها (٢).

و قد أورد الواحدي في كتابه أسباب النزول الخبر عن طريقين اتفق فيهما مع الحوفي وإن

نرى أن الحوفي أدق في رواية السبب من الواحدي الذي خرَّج الأثر على السبب و لم يلتزم ذكر الأثر

بكامله مثلما فعل الحوفي في حين أن الحوفي زاد رواية قتادة (٣).

و هو و إن كان قد ذكر تعدد الأخبار حول السبب الواحد نراه في موضع آخر يعدد

أسباب النزول لآية واحدة، ففي قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا

فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤).

يقول: فولوا أيها المؤمنون وجهكم نحو وجهي فإنكم أينما تولوا ووجهكم فهناك

وجهي و إنما خص الله المشرق و المغرب و إن كان مالكا لكل شيء لأن رسول الله صلى الله

١ - البقرة آية ٩٧.

٢ - الحوفي: البرهان ٩٤/٢ - ٩٧.

٣ - الواحدي: أسباب النزول ١٨-١٩.

٤ - سورة البقرة آية ١١٥.

عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أهلها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس وفرحت اليهود واستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهراً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو وينظر إلى السماء فأنزل الله عزوجل: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾ (١).

فأرتاب من ذلك اليهود فقالوا: "مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا" فأنزل الله عزوجل ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ...﴾ وقال ﴿...فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَوَجَّهَ اللَّهُ...﴾ (٢). نراه يذكر أن لهذه الآية أسباباً أخرى يقول: وقال آخرون بل نزلت هذه الآية إذنا من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي التطوع حيث توجه وجهه من شرق أو غرب في مسيره أو سفره وفي حال المسابقة وشدة الخوف. وقيل بل نزلت بسبب النجاشي لأنه أسلم ولم يصل القبلة وأنه كان يوجه إلى بعض المشارق والمغرب وجهه ابتغاء رضى الله في صلاته لأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تنازعوا في أمره من أجل أنه مات ولم يصل القبلة وهو قول قتادة (٣)، والواحدى يتفق مع الحوفي في تعدد أسباب نزول الآية إلا أن الواحدى لم يتفق مع الحوفي إلا في القول الأخير وهو أن الآية نزلت بسبب النجاشي (٤)، وإن كنا نميل إلى ما ذكره الحوفي لاتفاق أغلب علماء التفسير في ذلك.

والحوفي كثيرا ما يرجع السبب إلى إجماع أهل التفسير ففي قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْأُخْرَى وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥) يقول وأجمع أهل التفسير على أن هذه الآية في المنافقين (٦).

- ١ - سورة البقرة آية ١٤٤
- ٢ - سورة البقرة آية ١١٥
- ٣ - الحوفي: البرهان ١٢٢/٢ - ١٢٣.
- ٤ - الواحدى: أسباب النزول ٢٥.
- ٥ - سورة البقرة آية ٨.
- ٦ - الحوفي: البرهان ٥٠/١.

والحوفي على مدى تفسيره للقرآن لم يترك آية نزلت لسبب من سؤال أو حادثة أو خبر إلا وبيّنه برواية أو أكثر وإن كنا نأخذ عليه عدم ذكر السند بل يستند مباشرة إلى الراوي الأول كابن عباس أو ابن مسعود أو غيرهما.

#### ٤- الناسخ و المنسوخ:

أجمع أئمة السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين أن كل من تكلم في شيء من علم هذا الكتاب العزيز ولم يعلم الناسخ والمنسوخ كان ناقصاً<sup>(١)</sup>. وعلي هذا نرى الحوفي قد تكلم في هذا الجانب فهو يبين المقصود بالنسخ وفائدته والأقوال التي جاءت في ذلك ففي قوله تعالى ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>

يبين معني النسخ وأوجهه : يقال نسخ نسخاً ونسخاً واتسخ واتساحاً واستنسخ استنسخاً وتناسخوا تناسخاً وناسخاً وناسخة واصل الباب الإبدال من قرأ نساها كان مصدره نساءً ممدودة ونسيئة ونساءً مثل تسعاً ، و من قرأ نساها كان مصدره نساءً والنسيء التأخر ويقال للمرأة نسئت نساءً إذا حملت نسئت اللبن إذا صببت عليه الماء وهو حليب واسمه النسيء مصدره نساءً ونسأت الناقة زجرتها وخبرتها بالمناسأة وهر العصا. والنسخ هو تبديل الشيء بغير مأخوذ من نسخت الشمس الظل إذا أزالته وحلت محله ، ومن نسخت الكتاب إذا نسخت ما فيه إلى غيره ، وهو على أربع أوجه :

أحدهما : رفع الرسم. والحكم

والثاني : رفع الرسم وبقاء الحكم.

والثالث : رفع الحكم وبقاء الرسم.

١ - هبه الله بن سلامة: الناسخ والمنسوخ ٥.

٢ - سورة البقرة آية ١٠٦.

والرابع: رفع بعض الحكم وبقاء الرسم والنسخ لا يكون في الأمر والنهي وروي عن مجاهد وابن مسعود وغيرهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا: ما ننسخ من آية نزيل حكمها وثبتت خطها (١).

الزركشي يوجه معاني النسخ إلى معاني أربع: قال الأئمة ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ، ولقد قال علي ابن طالب لقاص: أتعرف الناسخ والمنسوخ قال: الله اعلم قال: هلكت وأهلكت (٢).

من هذا المنطلق تتبع الحوفي الآيات القرآنية علي مدي النص القرآني وبين ما وقع فيه من أقوال حول الناسخ والمنسوخ مما يدل علي سعة اطلاع الحوفي وشموليته للمباحث التي دارت حول النص القرآني ففي قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسَّعُ عَلِيمٌ﴾ (٣) قالوا ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم في التوجه شطر المسجد الحرام (٤). بقوله تعالى: "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ..." إلى قوله تعالى ﴿...فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾ (٥)

وفي قوله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِعَدَاةٍ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦).

١ - الحوفي: البرهان ١٠٦/٢-١٠٧.

٢ - الزركشي: البرهان ٢٩/٢.

٣ - سورة البقرة آية ١١٥.

٤ - الحوفي: البرهان ١٢٢/٢.

٥ - سورة البقرة آية ١٤٤.

٦ - سورة البقرة آية ١٧٨.

يقول: روي عن ابن عباس أن هذا الآية نسختها التي في المائدة ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾<sup>(١)</sup> وقال أبو عبيدة إن ابن عباس فيما يرى إلى أن الآية التي في المائدة ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ ليست بناسخ التي في البقرة ﴿ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ﴾ ولا هي خلافها ولكنهما محكمتان إلا أنه يرى أن التي في البقرة فتأوله قوله ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ إنما هو على أن النفس متساوية دون العبد ذكوراً كانوا أو إناثاً أنفس المماليك متساوية فيما بينهم وانه لا قصاص للمماليك على الأحرار<sup>(٢)</sup> والحوفي بعد بيّن رأي ابن عباس الذي قال بالناسخ، ذكر رأي أبو عبيد القائل بعدم النسخ، وهو ينتصر لرأي ابن عباس الذي أجمع عليه العلماء يقول: أجمع الفقهاء في قتل العبد بالحر والذكر بالأنثى واستدلوا بقوله ﴿ ... وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا ﴾<sup>(٣)</sup> وبقوله ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ وهو لكي ينتصر لرأي ابن عباس وهو أن آية المائدة نسخت آية البقرة يأتي بالحكم الفقهي الذي سوف نبينه في الجانب الفقهي<sup>(٤)</sup>، وكثير ما نرى العلماء يتكلمون في النسخ في آيات الأحكام وكذلك أثبتته الحوفي فنراه في قوله عز وجل ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>، إلى قوله تعالى

## ٥- المكي والمدني:

يقول قيل هذه الآية منسوخة بالزكاة المفروضة قيل منسوخة بالغلظة على الكفار ومنهم من قال هو حق في المال سوى الزكاة، ومنهم من قال هو أمر بالإجمال وترك

١ - سورة المائدة آية ٤٥ .  
٢ - الحوفي: البرهان ٥١/٣-٥٢ .  
٣ - سورة الإسراء آية ٣٣ .  
٤ - الحوفي: البرهان ٥٢/٢ .  
٥ - سورة الأعراف آية ١٩٩-٢٠٦ .

الغلظة و الفظاظة غير منسوخ، و من قال هي منسوخة بالزكاة ابن عباس و السدي و الضحاك، و من قال هي أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين و ترك الغلظة قبل أن يُفرض قتالهم عليه ابن زيد (١).

و قد عدها هبة الله بن سلامة من أعجب المنسوخ يقول: قوله تعالى: "خذ العفو" هذا منسوخ، يعنى الفضل من أموالهم نسخ بآية الزكاة، وهذه الآية أعجب المنسوخ لأن أولها منسوخ و أوسطها محكم و آخرها منسوخ بقوله: "و أعرض عن الجاهلين" نسخ بآية السيف، و أوسطها "و أمر بمعروف" العرف المعروف فهذا محكم (٢) و بهذه المعاني قال الحوفي و إن لم ينص صراحة بما قال به هبة الله بن سلامة يقول: و قد تضمنت الآيات البيان عن تعاليم مكارم الأخلاق في أخذ العفو الذي لا يحجف و الأمر بالمعروف الذي لا ينكر و الإعراض عن الجاهل الذي لا يفلح (٣).

و الحوفي إذ ارتضى رأياً جاء بالأدلة و الأقوال لينتصر لهذا الرأي، ففي قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ (٤) و ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهْمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ (٤). يقول: و اختلف في قوله عزوجل ﴿... وَمَنْ يُؤَلِّهْمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ...﴾

هل هو خاص في أهل بدر أم هو عام في المؤمنين جميعاً فقال قوم هو لأهل بدر خاصة لأنه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوه و ينهزموا عنه فأما اليوم فلهم الانهزام منهم قال ذلك أبو سعيد الخدري و الضحاك و الحسن و قتادة و يزيد بن أبي حبيب، و قال عطاء ابن أبي رباح منسوخة بالآية التي في الأنفال ﴿الْكِنَ

١- الحوفي: البرهان ٤٧/١٢ - ٤٨.

٢- هبة الله بن سلامة: الناسخ و المنسوخ ١٧ - ١٧١.

٣- الحوفي: البرهان ٥٠/١٢.

٤- سورة الأنفال آية ١٥ - ١٦.

خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ.... ﴿١﴾. إلى قوله "يَعْلَبُوا مِنِّي" قال فليس لقوم أن يفروا من مثليهم قال: ونسخت تلك إلى هذه العدة، وقال مجاهد قال عمر أن فئة كل مسلم وقال آخرون بل حكمها عام في كل من وُلِّي الدبر عن العدو منهزما وهو قول ابن عباس (٢).  
نراه بعد ذكر تلك الأقوال يرتضي قول ابن عباس ويأتي بقول ابن جرير الطبري ليدعم به رأيه يقول: وقال ابن جرير الطبري وقول من قال حكمها محكم أولى بالصواب لأنها نزلت في أهل بدر ولا يجوز أن نحكم في آية بنسخ ولها غير النسخ وجه إلا حجة يجب التسليم لها من خبر يقطع العذر أو حجة عقل (٣).

وعلى هذا المنوال تناول الحوفي الآيات التي نص العلماء على أنها ناسخة أو منسوخة و منهجه فيها أن يذكر الآراء وينتصر لرأيه من تلك الآراء مع التدليل لهذا الرأي بالأدلة والبراهين.

## ٦- المكي والمدني:

اتفق العلماء على أن من فوائد معرفة المكي والمدني معرفة الناسخ والمنسوخ لأن المكي سابق على المدني (٤). لهذا جاءت عناية الحوفي ببيان المكي والمدني وما نزل بمكة وما نزل بالمدينة، فنراه في أول كل سورة ينص على ذلك فيقول في أول سورة الفاتحة: قال مجاهد هي مدنية وهي فاتحة الكتاب، يحدد الحوفي أن سورة الحمد مكية (٥).

وما ذكره الحوفي بأن سورة الحمد مكية ونصه على قول مجاهد بأنها مدنية صحيح، فقد أجمع العلماء على أن سورة الفاتحة قد نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة

١- سورة الأنفال آية ٦٦.

٢- الحوفي: البرهان ٦٤/١٢.

٣- الحوفي: نفسه ٦٤/١٢.

٤- الزركشي: البرهان ١٨٧/١.

٥- الحوفي: البرهان ٨/١.

يقول الإمام الزركشي: وقد ينزل الشئ مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه وهذا كما قيل بالفاتحة نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة<sup>(١)</sup>.

وكما قلنا فالحوفي ينص في أول كل سورة على ذلك ففي أول سورة البقرة يقول: وهي مدينة<sup>(٢)</sup>، كما ينص على ذلك في أول سورة الأنعام يقول: روي عن ابن عباس أنه سُئِلَ عن آي القرآن المدني من المكي فقال سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة فهي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة فهي مدنية (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...) (سورة الأنعام: الآية ١٥١) إلى تمام الآيات الثلاث فعلى هذا لا يصح قول من قال وآتوا حقه يوم حساده هو الزكاة المفروضة لأن الزكاة المفروضة فرضت بالمدينة، وهو يذكر في موضعه إن شاء الله، روى أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والأرض لم ترتج ورسول الله يقول: سبحان الله ربي العظيم ثلاث مرات، وروي ابن عباس قال نزلت ليلاً ونزل معها سبعون ألف ملك يجأرون من حولها بالتسبيح<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: الإسرائيليات و موقف الحوفي منها:

إن انتشار الإسرائيليات في كتب التفسير بمختلف مناهجها ليعد ظاهرة عامة في أغلبها، وإنما ذلك جاء نتيجة لأمر عدة:

الأول: فهم بعض من تصدى لتفسير القرآن لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"<sup>(٤)</sup> فهماً غير مشروط فأطلقوا العنان لذلك وقبلوا من أهل الكتاب الغث والسمين، يقول ابن تيمية: ولهذا كان عبد الله بن عمرو وقد أصاب يوم

١- الزركشي: البرهان ٢٩/١.

٢- الحوفي: البرهان ٢٧/١.

٣- الحوفي: البرهان ٨/١٠.

٤- البخاري: صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ٢٠٧/٤.

اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك<sup>(١)</sup>.

الثاني: ما عمَّ العالم الإسلامي من الفتن والخلافات المذهبية والرق مما أتاح لأعداء الإسلام من بث سمومهم ودس الإسرائيليات ووضع الأحاديث المكذوبة حقداً وحسداً على الإسلام.

الثالث: عدم تحري الدقة في رواية الحديث مثل العناية بالسند والمتن وبذلك لم يلتزم أكثر المفسرين التحفظ في رواية الإسرائيليات.

غير أن ما جاء في تلك الأقوال التي أطلق عليها العلماء إسرائيليات مرفوض برمته، بل منه مقبول، ومنه مسكوت عنه يقول ابن تيمية: ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا على صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني<sup>(٢)</sup>.

من هذا المنطلق جاءت عناية الحوفي بهذا الجانب، فنراه قد التزم بنص الآية القرآنية في روايته لأية قصة غير أنه يبين ما جاء من الأقوال حول تلك القصة وينص على أنه ذكر الأوعب ثم يبيِّن رأيه وهذا الصنيع قد جوزه ابن تيمية يقول ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، وحكاية الخلاف أن تستوعب الخلاف أن تستوعب الأقوال في هذا

١- ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٤٤.  
٢- ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٤٤-٥٥.

المقام، وأن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وشرته لنلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فيشغل به عن الأهم<sup>(١)</sup>.

ففي قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ۗ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا ۗ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۗ﴾<sup>(٢)</sup>، فهو بعد ابن بين معنى الآية يقول: ويقال كان رجل من بني إسرائيل مكثرًا من المال وكانت له ابنة وكان له ابن أخ محتاج فخطب إليه ابن أخيه ابنته فأبى أن يزوجه فغضب الفتى وقال والله لأقتلن عمي ولأخذن ماله وأنكحن ابنته ولأكلن ديتيه. فأتاه الفتى وقدم تاجر في بعض أسباط بني إسرائيل فقال يا عم انطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم لعلي إن أصبت فيها فإنهم إذ رأوك معي أعطوني فخرج العم مع الفتى ليلا فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه كأنه لا يدري أين هو فلم يجده فانطلق نحوه فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فأخذهم وقال قتلتم عمي فأدوا إليّ ديتيه وجعل يبكي ويحنوا التراب على رأسه وينادي واعماه فرفعهم إلى موسى عليه السلام ف قضى عليهم بالدية، فقالوا له يا رسول الله ادع الله لنا حتى يبين لنا من صاحبه فوالله إن الدية علينا لهينة ولكننا نستحي أن نعيّره بذلك قول الله عز وجل حين يقول: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارْتُمْ فِيهَا ۗ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (سورة البقرة: الآية ٧٢) فقال لهم موسى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا نسألكم عن القتل وعن قتله وتقول اذبحوا بقرة أتهزأ بنا، قال موسى "أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ"، قال ابن عباس فلوارتضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شدوا وتعنتوا موسى فشدد الله عليهم،

١- ابن تيمية: نفسه ٤٦.

٢- سورة البقرة آية ٦٧.

فقالوا ﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ... ﴾ (سورة البقرة: الآية ٦٨). قال ﴿ ... إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ ... ﴾. (سورة البقرة: الآية ٦٨)

و الفارض الهرمة التي لا تلد والبكر التي لم تلد إلا ولداً واحداً، و العوان: النصف

الذي بين ذلك، التي قد ولدت وولد ولدها ﴿ فَأَفْعَلُوا مَا تُوْمَرُونَ ... ﴾ (سورة البقرة: الآية ٦٨)

قالوا ﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ (سورة البقرة: الآية ٦٨) قال نقي لونها تسر الناظرين قال تعجب الناظرين

﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ

اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا

تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾. (سورة البقرة: الآية ٦٨)

من بياض ولا سواد ولا حمرة ﴿ ... قَالُوا أَلَّعِنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ... ﴾ (سورة البقرة: الآية ٧١)

فطلبوها فلم يقدروا عليها، وكان رجل من بني إسرائيل من أبر الناس بأبيه وإن رجلا مر

به ومعه لؤلؤ بسبعين ألفا، فقال الفتى كما أنت حتى يستيقظ أبي وأخذه منك بثمانين

ألفا قال الآخر لا تنتظر أباك و هولك بستين ألفا، فجعل التاجر يحطه حتى بلغ ثلاثين

ألفا و زاد الآخر على أن ينتظر أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة ألف، فلما أكثر عليه قال

والله لا أشتريها منك بشيء أبدا، وأبي أن يوقظ أباه فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل

له تلك البقرة فمرت به بنو إسرائيل يطلبون البقرة فأبصروا البقرة عنده فسألوه أن

يبيعهم إياها بقرة ببقرة فأبى فأعطوه ثنتين فأبى فزادوه حتى بلغوا عشرا فأبى فقالوا

والله لا تترك حتى نأخذها منك فإن لقوا به إلى موسى فقالوا يا نبي الله إنا وجدنا عند

هذا فأبى أن يعطيناها وقد أعطيناها ثمناً لها فقال له موسى أعطهم بقرتك، قال يا رسول

الله أنا أحق بمالي، فقال صدقت وقال للقوم ارضوا صاحبكم فأعطوه وزنها ذهباً فأبى،

فأضعفوا له مثل ما أعطوه وزنها عشر مرات ذهباً فباعهم إياها وأخذ ثمنها، فذبحوها فقال اضربوه ببعضها فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش فسأله من قتلك فقال لهم ابن أخي قال أقتلته وأخذ ماله وأنكح ابنته فأخذه فقتلوه فهذا ما ذكره المفسرون وبعضهم يزيد على بعض وينقص فذكرت الأوعب ومعانيهم متقاربة. فهو يربط القصة القرآنية بعد استيعاب أقوال المفسرين كما ينص على أن ما ذكره هو من أوعب كلام المفسرين في ذلك ومعنى هذا أن الحوفي ارتضى هذا القول بدليل إيرادها ولولم يرتضه لما بيّنه وزاد عليه يقول: وقيل دفع في ثمنها ملء جلدتها ذهباً وقيل بوزنها ذهباً، وقيل ضرب بفخذها وقيل بذنبها، وأختلف في القاتل فقيل ابن أخيه وقيل أخوه وقيل وارث<sup>(١)</sup>.

فهذا دليل على ارتضائه بالقول الأول حيث بيّن في اختلاف العلماء فيما جاء من تلك القصص، وهو ينهي تفسيره للآية بقوله: ويقال ما المعنى يذبح بقرة واللّه عز وجل قادر على إحياء القتيل وإنطاقه بذكر قاتله من غير ذبح بقرة، قيل المعنى إنها قرْبَةٌ قدموها وعبادة تعبدوا بها، فإن قيل لما خصت البقر دون غيرها، قيل: إن البقر أنفس ما كانوا يتقربون به من الذبائح، وقد تضمنت البيان عن العبرة بما كان من حال البقرة وما جعل فيه من سبب الحياة وما في إتباع أمر اللّه عز وجل من لطيف الحكمة وعظم المنفعة والتقبيح لحالهم بما خاطبوا به نبيهم من نسبة إلى أنه يهزأ بهم وأن الهارئ بالدين من الجاهلين المستحقين للوم والتأنيب<sup>(٢)</sup>.

فالحوفي يستوعب أقوال المفسرين وينص عليها طلباً للعبرة، ثم ينهي هذه المسألة بأن ذبح البقرة إنما كانت قرْبَةً قدموها وعبادة تعبدوا بها.

١- الحوفي: البرهان ١/٢١٥.

٢- الحوفي: نفسه ١/٢١٥.

وهو في كل قصة يذكرها يعتمد فيها على ما قال به الصحابة والتابعين، ففي قوله تعالى: ﴿... قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ...﴾ (١).

يبين ما جاء في معنى هذه الآية من أقوال الصحابة والتابعين ثم يعقب على ذلك بقوله: روي ذلك عن ابن عباس وهو قول قتادة وأبي العالية والسدي وابن زيد وقال مجاهد ولو أخذوا بقرة صفراء لأجزأتهم ويحتج لمن قال هي صفراء بالنعته بفاقع لأنه يقال أصفر فاقع، وأسود حانك و حالك و حلوك و حُلبوت و غريب و دجوجي و أحمر قان و أبيض يقق و لهق و لهاق و لباح و ناصع، و أخضر ناضر (٢).

والحوفي في هذا الجانب ملتزم بما تضمنه النص القرآني وما زاد فيه من روايات المفسرين إنما كان للعبرة وهو من قبيل الاستشهاد لا للاعتقاد. فإذا تعرض بقصة ذكرها المفسرون نبه عليها وبيّن رأيه فيها، وإن كنا نأخذ عليه انسياقه وراء رواية الإسرائيليات التي لم يسلم منها كتاب من كتب التفسير وعلى رأسها تفسير الطبري والثعلبي والقيرطي وغير ذلك، ففي قوله تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكِينَ بَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ ...﴾ (٣).

يقول هل يستطيع استسحار شيء من خلق الله إلا نظير الذي يقدر عليه من ذلك سائر بني آدم أو إنشاء شيء من الأجسام وقالوا لو كان في وسع السحرة ذلك لم يكن بين الحق والباطل فرق واحتجوا بقول الله عزوجل: "سُحَّيْلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى" (سورة طه: الآية ٦٦) وقالوا ليس غير ما ذكر الله من التخيل والترفقة بين المرء وزوجه، وقال آخرون يقدر الساحر بسحره أن يحول الإنسان حماراً، وأن يسحر الحيوان والحمار وينشئ أعيانا وأجساماً، واعتدوا في ذلك بحديث رواه هشام بن عروة عن أبيه

١- سورة البقرة آية ٦٩.

٢- الحوفي: البرهان ٣٥/٢.

٣- سورة البقرة آية ١٠٢.



و معنى يعلمان الناس السحر تعليم إنذار، روي عن علي رضوان الله عليه يعلمان الناس السحر تعليم إنذار من السحر لا تعليم وعاء له، وقيل يعلمان الناس السحر ويأمران باجتنابه، وقال الربيع بن أنس ما يعلمان من أحد حتى يقولوا: لا تتعلم السحر فتكفر، ويقال كيف يفرق الساحر بين المرء وزوجه، قال تخيل الشيء إلى المرأة التي ترى زوجها على خلاف ما هو به، وتخيل الشيء إلى الزوج حتى يرى زوجه أيضا على خلاف ما هي عليه "الفرقة"، وقيل يؤخذ كل واحد منهما عن صاحبه ببعض كل واحد منهما إلى صاحبه، وقوله وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله أي وما هم يعني السحرة بضارين بالذي تعلموه من الملكين من أحد إلا بعلم الله، يعني الذي سبق في علمه أنه يضره، فأما من دفع الله عنه شره وحفظه فإن ذلك غير ضاره والإذن في هذا الموضوع العلم<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك مما جاء في تفسير الحوفي من المواضع<sup>(٢)</sup> التي يمكن أن يستوعبها بحث مستقل والتي نبه عليها الحوفي وبيَّن لها على مدى تفسيره للنص القرآني.

١- الحوفي: البرهان ١٠٢/٢.

٢- الحوفي: البرهان ١١١/١، ١١٦، ١٢٧، ١٦٣، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٥، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٧/٢، ١٠٠/٢، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠/٣، ٩٣، ١٠٥، ١١٧، ١٣٦ إلى آخر أجزاء المخطوط.